

إنما أنا بشر مثلكم

جمع وترتيب

سمير أحمد سيد أحمد فايد



حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتاب: هل هذا إلا بشر مثلكم؟

اسم المؤلف: سمير أحمد سيد أحمد فايد

عدد الصفحات: ٩٦

سنة الطبع: ٢٠١٦م - ١٤٣٨هـ



رقم الإيداع



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى أله وصحبه وسلم.

أما بعد،،

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

مما لا شك فيه أنه لا يزال هناك بعض الأمور المهمة التي غابت عن كثير من المسلمين من هذه الأمة، والتي منها:

المغالاة، ومجاوزة الحد في بشرية الرسول ﷺ؛ فالبعض يفعلها عن جهل بعد ما ألبسها ثوب الحقيقة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا والحقيقة أن رسولنا ﷺ بشر كسائر البشر.



نعم له خصوصياته التي خصه الله بها، ولكنه يأكل ويشرب وينام ويمرض، ويفعل ما يفعله البشر، ويعتريه ما يعتري البشر، ونسوا أو تناسوا أن له طبيعة تحكمه وحد لا يتجاوزه، ولقد غالي البعض فيه ﷺ ورفعوه فوق مكانته التي ذكرها الله في القرآن ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ [الجن: ١٩]، وارتضاها النبي ﷺ لنفسه، فهو القائل: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**»[1].

فزعم قوم أن الإطراء المنهي عنه في هذا الحديث هو الإطراء المماثل لإطراء النصارى ابن مريم وما عدا ذلك فهو سائغ مقبول مع أن آخر الحديث يرد عليهم قولهم فهو ﷺ عبد لا يُعبد، ورسول لا يكذب.

(١) رواه البخاري (٣٤٤٥).

وهذا البوصيري يقول في بردته:

فـإن مـن جـودك الـدنيا وضـرتها
ومـن علومـك علـم اللـوح والقلـم

فجعل البوصيري الدنيا والآخرة له ﷺ، والله ﷻ يقول: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ [الليل: ١٣].

- وقوله: ومن علومك علم اللوح والقلم هذا هو المقصود بعلم الغيب، والله ﷻ يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

- ونبينا ﷺ لما سأله جبريل عليه السلام عن الساعة، فقال له: «**ما المسؤل عنها بأعلم من السائل**».

- فدل هذا على أنه لا يعلم الغيب وإلا لأخبر جبريل بذلك، وأيضًا لما تكلموا في حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك لم يعلم النبي ﷺ ببراءتها حتى أنزل الله ﷻ عذرها من السماء، قال ابن رجب وغيره؛ أنه «البوصيري» لم يترك لله شيئًا ما دامت الدنيا والآخرة من جود الرسول ﷺ.

ونشهد أن من يقول هذا ما شهد أن محمدًا عبد الله بل



شهد أنه فوق الله، والرسول ﷺ كان أشد الناس عبودية لله وأخشاهم لله وأتقاهم لله.

ولقد قام يصلي حتى تورمت قدماه، ولما سئل عن ذلك قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[1].

- فكيف ننفي ما أثبته النبي ﷺ لنفسه من العبودية لله إذ أنه لم يقل يومًا: إنه إله، بل كان ينسب ما يخبر به من الغيب إلى خالقه ومولاه.

- وكثيرا ما يتردد بين المسلمين أن النبي ﷺ كان يعلم الغيب في حياته بل وبعد مماته، وهذا منافي لبشريته ﷺ، والحقيقة أن هذا الكلام لم يستساغ؛ لأنهم لم يضعوا الأمور في نصابها، فاستعنت الله عز وجل في إيضاحها وبيانها، والله أسال أن يجعل هذا العمل خالصًا له سبحانه وأن يضع له القبول، وهو حسبي ونعم الوكيل.

كتبه/

سمير أحمد سيد أحمد فايد

مدينة/ الإسكندرية

ربيع الأول سنة ١٤٣٧ هـ

(١) رواه البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩).

فصل

طلب مني أحد الأفاضل أن أكتب فصلًا أبين فيه قدر النبي ﷺ عند ربه وعند المسلمين، وبعض خصائصه ومعجزاته وغير ذلك، قبل البدء في عرض أدلة بشريته ﷺ فما كان مني إلا الاستجابة وبخاصة أن هذه الأمور لا يسع المسلم جهلها مع مراعاة الفروق بين الخصائص والشمائل والمعجزات والكرامات -وأن الكرامات هي ما يبارك الله عز وجل في أصله؛ مثل تكثير الطعام، والاستسقاء، ولا تكون الكرامات إلا لمن استقام ظاهرًا وباطنًا على الطريق المستقيم، وقد تجري لغيرهم، لكن ليس على سبيل الدوام. وأما المعجزات فلا تكون إلا للأنبياء للاستدلال بها والتحدي وهي على الدوام على بابها في التعجيز. وأما الخصائص فهي الأحكام التي خص الله عز وجل بها نبيه ﷺ مثل الجمع بين أكثر من أربع زوجات. وأما الشمائل وهي الأخلاق الكريمة التي كانت محور حياة النبي ﷺ كالعفو والصفح والرحمة ولين الجانب وغير ذلك.

فمن الجفاء الذي يخالف هديه ودعوته بل يخالف الأصل الذي أرسله الله به وهو التوحيد: الغلو فيه، ورفعه فوق منزلة النبوة وإشراكه في علم الغيب أو سؤاله من دون الله أو الإقسام به.

- أما قدر النبي ﷺ عند ربه فلقد أقسم الله عز وجل بحياته ﷺ تعظيمًا له في قوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]، وذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية قول ابن عباس رضي الله عنهما: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره [١].

- ولقد أخذ الله الميثاق على كل الأنبياء والمرسلين لئن أدركوا النبي ﷺ أن يؤمنوا به، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ

(١) «مختصر ابن كثير» (٢/٣١٥).

جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

- وما من نبي أو رسول إلا ناداه الله باسمه، قال تعالى: ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾ [هود: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ [مريم: ٧]، إلى غير ذلك من الآيات. أما رسولنا ﷺ فناداه بالنبوة والرسالة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، ولما خاطبه باسمه حين قال ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، قال بعدها: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ

﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، أما قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح: ٢٩]، فهذا إخبار من الله ﷻ بشيء معين.

- وكذلك الصلاة والسلام عليه. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء، وقال العلماء: ومن الجفاء أيضًا ترك الصلاة عليه ﷺ لفظًا أو خطًا إذا مر ذكره. قال ﷺ: «**رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليَّ**»(١).

وقال ﷺ: «**البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ**»(٢).

وقال ﷺ: «**من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا**»(٣).

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٥)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٦).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٤٦)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٥).

(٣) رواه مسلم (٢٨٤).

ورحم الله الشافعي إذ يقول: يكره للرجل أن يقول: قال رسول الله، ولكن يقول رسول الله ﷺ تعظيمًا لرسول الله ﷺ.

- وأيضًا تعظيمه ﷺ: قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح].

فذكر سبحانه حقًا مشتركًا بينه وبين رسوله ﷺ: وهو الإيمان، وحقًا خاصًا به تعالى؛ وهو التسبيح، وحقًا خاصًا بنبيه ﷺ؛ وهو التعظيم والتوقير.

- وأقسم ﷻ بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله ﴿ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي في كل شيء يحصل فيه اختلاف[(١)]، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

(١) تفسير السعدي (٢/٩٣).




- أضف إلى ما سبق أن الله ﷻ أمرنا بطاعة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء: ٥٩]، ورتب الوعيد الشديد على مخالفته، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢]، وقال ﷺ: «**لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به، أو نهيت عنه فيقول: لا ندري. ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه**»[(١)].

وأمرنا سبحانه وتعالى باتباعه وجعل هذا دليلًا على محبته لله ﷻ، قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [آل عمران: ٣١]، ويكفينا ثناء الله ﷻ عليه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [القلم: ٤]، وأما قدر النبي ﷺ ومنزلته عند المسلمين فحدث ولا حرج، ويكفينا ما قاله خليفته وصديق هذه الأمة أبو بكر رضي الله عنه

(١) رواه الترمذي (٢٨٠٠)، وأبو داود (٤٦٠٥).

بعدما عاد النبي ﷺ إلى مكة بعد رحلة الإسراء والمعراج وتحدث الناس بذلك، بل وارتد بعضهم، وسارعوا إلى أبي بكر فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس، قال: أو قال ذلك، قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة فلذلك سمي أبو بكر الصديق [(١)].

- وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: وما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه. وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالًا له. ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه» [(٢)].

- ولما زار أبو سفيان ابنته أم حبيبة رضي الله عنها في المدينة،

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (٣٠٦).

(٢) رواه مسلم (١٢١).

وأراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ رفضت، وقالت له: أنت مشرك نجس.. الحديث[1].

- وما قاله زيد بن الدثنة لما كان أسيرًا عند المشركين في مكة، وقال له أبو سفيان: أتحب أن محمدًا الآن مكانك نضرب عنقه، وأنك في أهلك، قال: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة أو تؤذيه وإني جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا[2].

- والحق ما شهدت به الأعداء وهو أجمل وصف وصفه به عروة بن مسعود الثقفي قبل إسلامه، لما فاوض النبي ﷺ في صلح الحديبية، فلما رجع إلى قريش قال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، ووالله إن رأيت ملكًا قط يعظمه

---

(١) أورده ابن كثير في «البداية والنهاية» وابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٢٩٩، ٣٠٠).

(٢) «البداية والنهاية» (٤/ ٦٥).

أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا.. الحديث[1].

- وأما قدر النبي ﷺ عند التابعين، فنذكر مثالين فقط خشية الإطالة:

والأول: هو عبد الرحمن بن مهدي كان إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ أمر الحاضرين بالسكوت، فلا يتحدث أحد ولا يبري قلم، ولا يبتسم أحد، ولا يقوم أحد قائمًا كأن على رؤوسهم الطير، أو كأنهم في صلاة فإذا رأى أحدًا منهم تبسم أو تحدث لبس نعله وخرج[2].

والثاني: هو الإمام مالك رحمه الله، كان شديد التعظيم لحديث رسول الله ﷺ، فكان إذا جلس للفقه جلس كيف كان وإذا أراد الجلوس للحديث اغتسل وتطيب ولبس ثيابًا جددًا، وتعمم وقعد على منصته بخشوع وخضوع ووقار ويبخر المجلس من أوله إلى فراغه تعظيمًا للحديث[3].

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣١).

(٢) «سير أعلام النبلاء».

(٣) «سير أعلام النبلاء».

أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا.. الحديث[١].

- وأما قدر النبي ﷺ عند التابعين، فنذكر مثالين فقط خشية الإطالة:

والأول: هو عبد الرحمن بن مهدي كان إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ أمر الحاضرين بالسكوت، فلا يتحدث أحد ولا يبري قلم، ولا يبتسم أحد، ولا يقوم أحد قائمًا كأن على رؤوسهم الطير، أو كأنهم في صلاة فإذا رأى أحدًا منهم تبسم أو تحدث لبس نعله وخرج[٢].

والثاني: هو الإمام مالك رحمه الله، كان شديد التعظيم لحديث رسول الله ﷺ، فكان إذا جلس للفقه جلس كيف كان وإذا أراد الجلوس للحديث اغتسل وتطيب ولبس ثيابًا جددًا، وتعمم وقعد على منصته بخشوع وخضوع ووقار ويبخر المجلس من أوله إلى فراغه تعظيمًا للحديث[٣].

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣١).

(٢) «سير أعلام النبلاء».

(٣) «سير أعلام النبلاء».

لواء الحمد يوم القيامة، فما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائه ﷺ، وصاحب الوسيلة، وأعطى جوامع الكلم، ونصر بالرعب، وجعلت له الأرض مسجدًا وطهورًا، وبعث إلى الناس كافة، وكل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا نسبه وسببه، ومن صلى عليه مرة صلى الله عليه عشرًا، وأيضًا كثرة أسمائه التي تدل على شرف المسمى ومنها محمد وأحمد والماحي والحاشر والعاقب والمقفى ونبي التوبة ونبي المرحمة ونبي الملحمة وبالمؤمنين رؤوف رحيم إلى غير ذلك، وكل ما سبق فيه أحاديث معروفة.

- وأما معجزاته ﷺ فأظهرها وأشرفها وأوضحها بيانًا كما قال الشيخ محمد الخضري في كتابه «نور اليقين»: فهو القرآن الكريم، ثم ذكر وجوه الإعجاز، وأيضًا من معجزاته ﷺ انشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام ببركته ودعائه ﷺ، وحنين الجزع، وإبراء

المرض، وذوي العاهات فقد أصيبت أَحد عين قتادة بن النعمان فردها يوم أُحد فكانت أحسن عينيه وتفل في عين علي ﷺ يوم خيبر، فبرئت ودعا لأنس بن مالك بالبركة في المال والولد، ودعا لسعد بإجابة الدعوة، فما دعا لأحد إلا استجيب له، وقال لأبي قتادة: «**أفلح وجهك اللّٰهم بارك في شعره وبشره**»، فمات وهو ابن سبعين سنة كأنه ابن خمس عشرة، وأعلم أصحابه ووعدهم بالظهور على أعدائهم ففتحوا البلاد وجاؤوا بكنوز كسرى وقيصر إلى غير ذلك من معجزاته ﷺ.

- وأما عصمته ﷺ فقد كفاه الله ﷻ أذى الناس، فقال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦]، ولما نزل قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] صرف حجابه وقال: انصرفوا عني، فقد عصمه الله، وقد ذكر السيوطي في أسباب النزول عن عائشة ﵂ قالت: كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿ وَٱللَّهُ

﴿يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فأخرج رأسه من القبة، فقال: **«يا أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله»**.

- وذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية: أي بلغ أنت رسالتي، وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك، ومظفرك بهم فلا تخف ولا تحزن فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك.

وصدق الله فلقد حفظه في مكة من ألد أعداء الإسلام، وأثناء هجرته كما في حديث سراقة بن مالك وفي المدينة من شر وكيد المنافقين واليهود، فما تمكن أحد من إيصال الأذى إليه ﷺ.

- وأما عصمته ﷺ في تبليغ الدعوة فقد أجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به. لا قصدًا ولا عمدًا ولا سهوًا ولا غلطًا[١].

(١) «الشفا» للقاضي عياض (٢/٩٧).

وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت: يا رسول الله! أأكتب كل ما أسمع منك؟ قال: نعم، قلت: في الرضا والغضب؟ قال: نعم، فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقًا[(١)].

- ولقد عصمه الله ﷻ من الشيطان فمن حديث عبد الله ابن مسعود قال. قال: رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة**». قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: «**وإياي ولكن الله تعالى أعانني عليه فأسلم**»[(٢)].

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾.

[النجم]

وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾.

[النساء: ١٧٠]

(١) الترمذي (١٩٩٠)، وقال: «صحيح».

(٢) رواه مسلم (٢٨١٤).

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

ولقد ذكر القاضي عياض في كتابه "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" الأدلة على ذلك فمن أراد الاستزادة فليرجع إليه.

- وأخيرًا فإن الله عز وجل أوجب علينا طاعته وطاعة رسوله ﷺ، وجعل لله حقوقًا على عباده لا يشاركه فيها أحد لا نبي مرسل ولا ملك مقرب وجعل لنبيه ﷺ حقوقًا على أمته لا يساويه فيها أحد من الخلق، قال العلامة ابن القيم:

لله حق ليس لعبده ولعبده حق هما حقان

لا تجعلوا الحقين حقًا واحدًا من غير تمييز ولا فرقان

- اقتضت حكمة الله عز وجل أن يكون كل الأنبياء والمرسلين من البشر، ذلك لأنهم:

- أقدر الناس على التعامل مع البشر ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

فلو أرسل الله عز وجل ملكًا رسولًا فإن الناس لن يستطيعوا أن يتعاملوا معه لأنه مخلوق نوراني والبشر خلقوا من الطين، وطبيعة البشر تخالف طبيعة الملك وحينئذ سيقولون: (يا رب لو أرسلت إلينا رسولا من البشر لكي يَسْهُل علينا الاقتداء به والأخذ عنه).

قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ۝٩٤ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء].

وقال ﷻ: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩].

فجعل الله ﷻ الرسل بشرًا لكي يقفوا على ما يحدث من البشر، ويصلحوا بنور الوحي ما أفسده البشر.

- ولذلك فهم (يأكلون، ويشربون، ويتزوجون، ويتناسلون، ويعملون، وينامون، ويمرضون، ويموتون).

- والملائكة بمعزل عن صفات البشر؛ لأنهم ﴿عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾، ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾، و﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾.

- والله ﷻ جعل الرسل هم صفوة الخلق، وكل صفاتهم صفات كمال؛ لأنهم سيحملون رسالة الله إلى خلقه فجعل فيهم (الصدق، والأمانة، والفطنة، والتبليغ) وغيرها من الصفات الطيبة.

وما من رسول أرسله الله ﷻ إلا وهاجمه قومه والقرآن الكريم يذكر لنا جانبًا من هذا الهجوم:



١ - قالوا لنوح عليه السلام: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧].

٢ - وقالوا لصالح عليه السلام: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٢٤].

٣ - وقالوا لشعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦].

٤ - وقالوا لموسي وهارون عليهما السلام: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧].

٥ - وقالوا لنبينا صلى الله عليه وسلم: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣].

وهكذا فعلوا مع كل الرسل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٦].

- مما سبق يتبين لنا أن بشرية الرسل كأنها عيب فيهم مع أن الله ﷻ أرسل إلى كل قوم رسولًا منهم فيه كل الصفات النبيلة التي تليق به كرسول مبلغ عن الله؛ من (حسن خلق، وصدق قول، وأمانة) وغيرها من الصفات الطيبة.

وهذا رسولنا ﷺ اختاره ربه للرسالة بعدما عرفه قومه بهذه الصفات الطيبة والتي منها (الصادق الأمين).

لقبتموه أمين القوم في صغر
وما الأمين على قول بمتهم

قال عبد الله بن رواحة:

لو لم تكن فيه آيات مبينة
كانت بديهته تنبيك بالخبر

ولنبدأ في عرض أدلة بشريته ﷺ:





١- مولده ﷺ

لما أطل محمد زكت الربى

واخضر في البستان كل هشيم

ولد النبي ﷺ في شهر ربيع الأول من عام الفيل في أعظم القبائل شرفًا وأعلاها قدرًا وحسبًا فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

هذا هو النسب المتفق عليه بين المحديثن و المؤرخين، قال ابن دحية: أجمع العلماء و الإجماع حجة على أن النبي ﷺ كان إذا انتسب لا يجاوز عدنان(١).

- وأما النسب فوق ذلك فلا يصح فيه طريق لكنهم أجمعوا على أن نسب الرسول ﷺ ينتهي إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام أبى العرب المستعربة.

---

(١) «فيض القدير» (٤/٥٥٠١).

١ - وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب تلتقى مع النبي ﷺ في الجد الخامس، فما زال ﷺ ينتقل من أصلاب أولئك إلى أرحام هؤلاء؛ أباء طاهرون وأمهات طاهرات حتى استقر في رحم آمنة ولنستمع إلى الرسول ﷺ وهو يقرر هذه الحقيقة فيقول: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفي قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»(١).

وروى الترمذي وقال: حديث حسن عن العباس بن عبد المطلب أن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالي خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم، و خير الفرقتين، ثم تخير القبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسًا وخيرهم بيتًا**»(٢).

- هذا هو رسول الله ﷺ الذي اختاره الله عز وجل من أوسط قومه نسبًا وأعظمهم شرفًا من قبل أبيه وأمه.

(١) رواه مسلم (٢٢٧٦).

(٢) رواه الترمذي (٣٦٨٥).

- ولقد مر النبي ﷺ بالمراحل التي يمر بها المخلوق كما جاء في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون].

وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع**

فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[١].

- هذه هي الأطوار التي يمر بها المخلوق باستثناء آدم عليه السلام الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ﴾ [الحجر: ٢٨] وغيرها من الآيات.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة**»[٢].

وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أنس رضي الله عنه: «**يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته**».... الحديث[٣].

(١) رواه البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣) واللفظ له.

(٢) رواه مسلم (٨٥٤).

(٣) رواه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

وحديث محاجة آدم لموسي عليهما السلام في الصحيحين [(١)] والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في خلق آدم عليه السلام كثيرة وكلها تقضي بخلق آدم عليه السلام، ونبينا صلى الله عليه وسلم ينسب نفسه لآدم عليه السلام.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع**»[(٢)].

- وفي رواية البخاري قال سيد الخلق صلى الله عليه وسلم: «**أنا سيد الناس**»[(٣)].

- فإذا كان آدم عليه السلام مخلوق، فنبينا صلى الله عليه وسلم مخلوق لأنه من ذريه آدم.

- وبعد خروج آدم من الجنة هو وزوجه حواء بدأ الخلق التدريجي بطريق التناسل.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢).

(٢) رواه مسلم (٢٢٧٨).

(٣)رواه البخاري (٣٣٤٠).

- قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣].

- وقال تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم: ٢٠].

وتبع الولادة الختان:

وقد اختلف فيه على أقوال:

أحدها: أنه ولد مختونًا مسرورًا (يعني مقطوع السرة).

الثاني: أن جبريل ختنه حين شق صدره.

الثالث: أن جده عبد المطلب ختنه على عادة العرب في ختان أولادهم، وقد ذكر ابن القيم في «تحفة المودود» هذه الأقوال وبينها.

ونقل عن بعض العلماء أن الابتلاء به مع الصبر عليه مما يضاعف ثواب المبتلى به وأجره، والأليق بحال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لا يسلب هذه الفضيلة، وأن يكرمه الله بها كما أكرم

خليله فإن خصائصه أعظم من خصائص غيره من النبيين وأعلى إلى أن قال: وقد جاء في بعض الروايات أن جده عبد المطلب ختنه في (اليوم السابع) قال: وهو على ما فيه أشبه بالصواب وأقرب إلى الواقع ثم ساق حديث إلى ابن عباس أن عبد المطلب ختن النبي ﷺ يوم سابعه وجعل له مأدبه، وسماه محمدًا [(١)] (ثم ذكر كلامًا قريبًا من هذا في «زاد المعاد»).

وتبع الختان الرضاعة:

وكان من عادة العرب أن يلتمسوا لمواليدهم المراضع اللاتى يأتين من البادية فأتت حليمة السعدية فأخذته فكان ﷺ سعدًا عليها، ورأت الخير الكثير أثناء وجوده عندها، وإذا سخر الإله أناسًا لسعيد فإنهم سعداء.

وكان هذا من عادة العرب لأنه أنجب للولد بخلاف المدن التي كان ينشأ فيها فاتر العزيمة فمكث عندها أربع

(١) «تحفة المودود» (١٦٢).

سنوات حتى أعادته إلى أمه، وسبق رضاع حليمه رضاع ثويبة مولاة أبي لهب أرضعته أيامًا مع أبي سلمة وعمه حمزة.

حادثة شق الصدر:

- وأثناء وجوده في بني سعد كانت حادثة شق صدره ﷺ، وقد ذكرت كتب السيرة والحديث هذه الحادثة - روى مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فأستخرج القلب، فأستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه (أي جمعه وضم بعضه إلى بعض) ثم أعاده مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه -يعنى: ظئره- فقالوا: إن محمدًا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون (متغير اللون) قال أنس: وكنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره[1] حدث هذا في السنة الرابعة من مولده على قول المحققين، ثم مر

(١) رواه مسلم (١٦٢).



النبي ﷺ بالمراحل التى يمر بها المخلوق من ضعف وقوة وشيبة، كما جاء في قوله تعالي: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

بعد ذكر الأدلة السابقة من الولادة والختان والرضاعة وشق الصدر يتضح لنا أنه مخلوق من أب وأم وكل مولود حادث، ولأن الولد من جنس والده، والله عز وجل ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ولأن الولد لا يكون إلا من زوجة، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١][(١)].



(١) صاحبة: يعني زوجة.

٢ - طعامه وشرابه ﷺ

قال الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧] .

أخبر الله ﷻ في هذه الآية عما قاله المشركون من أن الرسول يأكل الطعام ويذهب إلى السوق ليتكسب من التجارة، ويريدون بذلك التقليل من شأنه وعدم الالتفات لما جاء به، فجاء الرد من الله ﷻ في نفس السورة قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾.

[الفرقان: ٢٠]

فأخبر الله ﷻ أن الرسل يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق للتكسب والتجارة، وليس هذا بمناف لحالهم



ومنصبهم، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ جعل لهم من السمات الحسنة، والصفات الجميلة، والأقوال الفاضلة، والأعمال الكاملة، والخوارق الباهرة ما يستدل به كل ذى لب سليم على صدق ما جاؤا به من عند الله ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ [الأنبياء: ٨](١).

ولقد ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ عن المسيح ابن مريم وأمه أنهما كانا يأكلان الطعام:

- قال تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٥].

فالذي يأكل ويشرب لابد وأن يفرغ ما في بطنه من فضلات الطعام، والله عَزَّ وَجَلَّ لا جوف له وهذا من معاني

---

(١) «مختصر ابن كثير» (٦٢٨/٢).

اسمه الصمد، والبشر ليسوا كذلك، والنبي ﷺ كان يدخل الخلاء، وعلم أصحابه آداب دخول الخلاء والخروج منه، ولقد ذكر الفقهاء في كتبهم هذه الآداب لكي نتأسى به ﷺ وقد ذكرت كتب الحديث أحاديث كثيرة تبين كيف كان يأكل، وكيف كان يشرب، وما هي الأطعمة التي نهانا عن أكلها، وكذلك الأشربة التي حرمها الإسلام، وهذه بعض أحاديث الطعام والشراب من الصحيحين:

- عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: (رأيت رسول الله ﷺ يأكل الرطب بالقثاء)[1].

- وعن أنس أن رسول الله ﷺ أتى مولى له خياطًا، فأتى بدباء فجعل يأكله فلم أزل أحبه منذ رأيت رسول الله يأكله)[2].

- وعند عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله يحب

(١) البخاري (٥٤٤٠)، ومسلم (٢٠٤٣).

(٢) البخاري (٥٤٣٣)، ومسلم (٢٠٤١).

اسمه الصمد، والبشر ليسوا كذلك، والنبي ﷺ كان يدخل الخلاء، وعلم أصحابه آداب دخول الخلاء والخروج منه، ولقد ذكر الفقهاء في كتبهم هذه الآداب لكي نتأسى به ﷺ وقد ذكرت كتب الحديث أحاديث كثيرة تبين كيف كان يأكل، وكيف كان يشرب، وما هي الأطعمة التي نهانا عن أكلها، وكذلك الأشربة التي حرمها الإسلام، وهذه بعض أحاديث الطعام والشراب من الصحيحين:

- عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: (رأيت رسول الله ﷺ يأكل الرطب بالقثاء)[1].

- وعن أنس أن رسول الله ﷺ أتى مولى له خياطًا، فأتى بدباء فجعل يأكله فلم أزل أحبه منذ رأيت رسول الله يأكله[2].

- وعند عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله يحب

(١) البخاري (٥٤٤٠)، ومسلم (٢٠٤٣).

(٢) البخاري (٥٤٣٣)، ومسلم (٢٠٤١).



- وعن أبي أمامة أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا[1].

- وكان ﷺ يدخل نخلًا لأبي طلحة ويشرب من ماء طيب فيها[2].

- وشرب ليلة أسري به اللبن[3].

- وشرب قائمًا من زمزم[4].

- وشرب يوم عرفة من قدح فيه لبن[5].

إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة التي توضح أن النبي ﷺ لم يستغن عن الطعام والشراب بحكم بشريته،

(١) رواه البخاري (٥٤٥٨).

(٢) رواه البخاري (٥٦١١)، ومسلم (٩٩٨).

(٣) رواه البخاري (٥٥٧٦)، ومسلم (١٦٨).

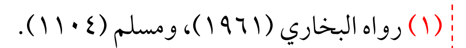
(٤) رواه البخاري (٥٦١٧)، ومسلم (٢٠٢٧).

(٥) رواه البخاري (٥٦٣٦).

باستثناء ما خصه الله عَزَّ وَجَلَّ به من الوصال في الصيام وعلل ذلك بأن الله عَزَّ وَجَلَّ كان يطعمه ويسقيه، أما الصحابة فنهاهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الوصال[(١)].

والله عَزَّ وَجَلَّ منزه عن ذلك لأنه يطعم ولا يطعم أي: يرزق الناس ما يأكلون وهو غني عن الطعام لا يأكل فلا يحتاج إلى من يطعمه.





(١) رواه البخاري (١٩٦١)، ومسلم (١١٠٤).



٣- نومه ﷺ

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾.

[الروم: ٢٣]

- وعن أبي قتادة عن أبيه قال: سرنا مع النبي ﷺ ليلة فقال بعض القوم: لو عرست بنا يا رسول الله، قال: «**إني أخاف أن تناموا عن الصلاة**»، قال بلال: أنا أوقظكم، فاضجعوا، وأسند بلال ظهره إلى راحلته فغلبته عيناه فنام، فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس، فقال: «**يا بلال أين ما قلت؟**»، فقال: ما ألقيت علي نومة مثلها قط، قال: «**إن الله قبض أرواحكم حيث شاء وردها عليكم حيث شاء يا بلال قم فأذن بالناس بالصلاة**» فتوضأ فلما ارتفعت الشمس وابياضت قام فصلي(١).

(١) رواه البخاري (٥٩٥)، ومسلم (٦٨٠).

- وروى مسلم عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها، فأتيت. فقيل لها: هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك، فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، وفتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع النبي ﷺ فقال: «**ما تصنعين يا أم سليم**» فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا. قال: «**أصبت**»[(١)].

- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن ينام وهو جنب يتوضأ وضوءه للصلاة قبل أن ينام[(٢)].

إلى غير ذلك من الأحاديث.

ولكن هناك حديث رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**إن عيني تنامان ولا ينام قلبي**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٢٣٣١).

(٢) رواه مسلم (٣٠٥).

(٣) رواه مسلم (٧٣٨).

قال المناوي: ليعي الوحي الذي يأتيه في نومه (ورؤيا الأنبياء وحي ولا يشكل بالنوم) في الوادي لأن القلب إنما يدرك الحسيات المتعلقة به كحدث وألم لا ما يتعلق بالعين، ولأن قلبه كان مستغرقًا إذ ذاك بالوحي وأما الجواب بأنه كان له حالان:

- حالة ينام فيها.

- وحالة لا. فضعفه النووي[1].

- إذا النوم آية من آيات الله عز وجل علينا كما جاء في سورة الروم وما أكثر آيات الله علينا، والله عز وجل جعل النوم سباتًا كما في سورة النبأ لكي يرتاح الجسد من التعب وينشط من الكسل ويعيد إلى الجسم ما فقد منه من حيوية ونشاط وهذا دليل على بشريته صلى الله عليه وسلم لأن الله عز وجل ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ وأنه يُمسك السموات أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن

(١) «فيض القدير» (٥/١٩٦).





أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال: «إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه....» الحديث[1].

وعن ابن عباس أن بني إسرائيل قالوا: يا موسى! هل ينام ربك؟ قال: اتقوا الله. فناداه ربه عز وجل:

يا موسى سألوك هل ينام الله ربك؟ خذ زجاجتين في يديك، فقم الليلة ففعل موسى فلما ذهب من الليل ثلثه نعس موسى فوقع لركبتيه ثم انتعش فضبطهما حتى إذا كان آخر الليل نعس موسى فسقطت الزجاجتان فانكسرتا، فقال: يا موسى! لو كنت أنام لسقطت السموات والأرض فهلكت كما هلكت الزجاجتان في يديك فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم آية الكرسي[2].



(١) رواه مسلم (١٧٩).

(٢) «مختصر ابن كثير» (١/ ٢٣٠).

٤- نسيانه ﷺ

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥].

- وروى الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصًا من نور ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب! من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود، قال: رب! وكم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال: أو لم يبق من عمري أربعون سنه، قال: أو لم تعطها ابنك داود. قال: فجحد فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته**»[1].

(١) رواه الترمذي (٥٠٧٢) وقال حسن صحيح.



- ونبينا ﷺ من ذرية آدم عليه السلام فلابد وأن يعتريه بعض النسيان الذي يعتري البشر، ولقد وردت أحاديث تبين أن النبي ﷺ كان ينسى بعض الأمور حتى المتعلقة بالشرع كما ذكر الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم، ففي الصحيحين واللفظ لمسلم عن عبد الله، قال: صلى رسول الله ﷺ -قال إبراهيم: زاد أو نقص- فلما سلم قيل له: يا رسول الله! أحدث في الصلاة شيء. قال: «**وما ذاك**» قالوا: صليت كذا وكذا. قال: فثنى رجليه واستقبل القبلة فسجد سجدتين ثم سلم ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «إنه لو حدث شيء في الصلاة أنبأتكم به، ولكن إنما أنا بشر، أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني، وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم ليسجد سجدتين»[(١)].

- قال النووي: فيه دليل على جواز النسيان عليه ﷺ في أحكام الشرع وهو مذهب جمهور العلماء وهو ظاهر القرآن والحديث.

---

(١) رواه البخاري (٤٠١)، ومسلم (٥٧٢).

وعن أبي هريرة قال: أقيمت الصلاة، فقمنا فعدلنا الصفوف قبل أن يخرج إلينا رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ حتى إذا قام في مصلاه قبل أن يكبر، ذكر فانصرف، وقال: مكانكم، فلم نزل قيامًا ننتظره حتى خرج إلينا وقد اغتسل ينطف رأسه ماء، فكبر فصلى بنا(١).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: سمع رجلًا يقرأ من الليل، فقال: **«يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتها من سورة كذا وكذا»**(٢).

- علق النووي على هذا الحديث أن فيه دليل على جواز النسيان عليه ﷺ فيما قد بلغه إلى الأمة، وفي حديث أبى سعيد الخدري رضي الله عنه قول النبي ﷺ عن ليلة القدر: **«فإني أريت ليلة القدر، وإني نسيتها، وإنها في العشر الأواخر في وتر»**(٣).

---

(١) رواه مسلم (٦٠٥).

(٢) رواه مسلم (٧٨٨).

(٣) رواه البخاري (٨١٣).

مما سبق يتبين لنا أن النسيان سمة من سمات البشر وهو طبيعة في بني آدم، وفي قول موسى للخضر عليهما السلام: ﴿لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ وقول فتى موسى عليه السلام: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ﴾ على أن النسيان طبيعة في كل البشر، ولذلك جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله! إني أسمع منك حديثًا كثيرًا أنساه، قال: «**ابسط رداءك**» فبسطته، قال: فغرف بيديه ثم ضمه فضممته فما نسيت شيئًا بعده[1].

النبي صلى الله عليه وسلم يجرى عليه ما يجرى على البشر من النسيان وهذا في الأفعال البلاغية والعبادات ومنعه طائفة وتأولوا الحديث وعلى الأول الأكثر شرط تنبهه فورًا متصلًا بالحادثة وجوَّز قوم تأخيره مدة حياته واختاره إمام الحرمين، أما الأقوال البلاغية فيستحيل السهو فيها إجماعًا وأما الأمور العادية الدنيوية فالأصح جواز السهو في الأفعال لا في الأقوال[2].

---

(١) رواه البخاري (١١٩).

(٢) «فيض القدير» (٢/ ٥٦٤).

ويزيد هذا النسيان إذا بلغ الإنسان من العمر أرذلة، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [النحل: ٧٠].

فعلم الله ﷻ ليس كعلم المخلوقين الذي يعتريه النقص من ثلاثة أوجه:

الأول: قال تعالى: ﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق: ١٢].

فعلم الله ﷻ محيط بكل شيء لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وعلم المخلوق محدود مهما وصل في العلم.

الثاني: علم الله ﷻ لم يسبقه جهل وعلم المخلوق سبقه جهل.

- قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [النحل: ٧٨].



الثالث: علم الله ﷻ لا يلحقه نسيان قال الله ﷻ بعدما سأل فرعون موسى عن القرون الأولى، قال له موسى عليه السلام ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

- وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

- والمخلوق علمه يلحقه النسيان وسبقت آية النحل رقم ٧٠، فعلم الله ﷻ شامل أزلي أبدي، أما قوله تعالى عن المنافقين والمنافقات: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، قال ابن كثير: ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ أي: نسوا ذكر الله، ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ أي عاملهم معاملة من نسيهم[(١)].

وقال الألوسي عند تفسير هذه الآية: ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ النسيان مجاز عن الترك وهو كناية عن ترك الطاعة، فالمراد لم يطيعوه سبحانه، ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ منع لطفه وفضله عنهم[(٢)].

أقول: والجزاء من جنس العمل.

---

(١) مختصر ابن كثير (٢/ ١٥٣).

(٢) روح المعاني للألوسي (١٠/ ١٣٣).



٥- زواجه ﷺ

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

- قال تعالى: ﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

ولقد تزوج النبي ﷺ كما تزوج الأنبياء والمرسلين ولم يكن بدعًا من الرسل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد: ٣٨].

ولقد تحدث الشيخ الصابونى في كتابه «روائع البيان» عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ



﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ ٱلَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٠].

فقال: أحل الله تعالى لنبيه ﷺ صنوفًا من النساء:

١- صنفًا يدفع له المهر:

المهورات: ﴿ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾.

٢- وصنف يتمتع به بملك اليمين:

المملوكات: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾.

٣- وصنفًا من أقاربه من نساء قريش ونساء بني زهرة

المهاجرات: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾.

٤- وصنفًا رابعًا ينكحه بدون مهر:

الواهبات أنفسهن: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾.

-كل ما بين القوسين زيادة على كلام المؤلف.

ثم ذكر حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول: أما تستحي امرأة أن تهب نفسها لرجل حتى أنزل الله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾، فقلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك[1].

ثم ذكر أمهات المؤمنين فقال:

١- السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:

هي أول أزواجه عليه السلام تزوجها قبل البعثة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي ثيب -أرملة- بنت أربعين سنة، ولم يتزوج عليها إلا بعد وفاتها وفاءًا لها لأنها أول من آمن به من النساء، وكانت قوية العقل، سديدة الرأي، وقضى معها النبي صلى الله عليه وسلم زهرة شبابه حتى أن عائشة رضي الله عنها كانت تغار منها حتى بعد موتها من كثرة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

(١)رواه مسلم (١٤٦٤).

لها، ولقد رزقه الله منها جميع أولاده عدا إبراهيم فأمه مارية القبطية، وحين انتقلت إلى ربها -رحمة الله عليها- كان النبي ﷺ قد بلغ الخمسين من عمره وليس عنده سواها ولم يعدد إلا بعد وفاتها

٢- السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها :

تزوجها عليه السلام بعد وفاة خديجة وهى أرملة السكران بن عمر الأنصاري وتزوجها النبي ﷺ وهي مسنة لأنها كانت من المؤمنات المهاجرات، ولأنها أصبحت بعد وفاة زوجها بعد رجوعه من الحبشة وحيدة لا معيل لها ولا معين، ولو عادت إلى أهلها لأكرهوها على الشرك، ولعذبوها عذابًا نُكرًا ليفتنوها عن الإسلام، فتزوجها النبي ﷺ ليكفلها.

٣- السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما :

تزوجها عليه السلام وكانت بكرًا وهي البكر الوحيدة من بين نسائه الطاهرات، وكانت من أذكى أمهات المؤمنين وأحفظهن بل كانت أعلم من أكثر الرجال، فلقد كان

كثير من كبار الصحابة يسألوها عن بعض الأحكام التي تشكل عليهم، وكان ﷺ يحبها أكثر من نسائه وكان يعدل بينهن في القسمة، ويقول: «**اللّهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك**» ولما نزلت أيه التخيير بدأ بها فاختارت الله ورسوله، وكانت مصاهرة النبي ﷺ للصديق أبي بكر أعظم منة ومكافأة له في هذه الحياة الدنيا (ولقد توفي النبي في حجرتها، وإن رأسه بين سحرها ونحرها، ولقد قبر في بيتها).

٤- السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما :

تزوجها النبي ﷺ وهي أرملة وكانت زوجة خنيس بن حذافة الأنصاري، وقد استشهد في غزوة بدر، وبعد أن عرضها أبوها على عثمان فرفض ثم عرضها على أبي بكر فرفض. وتزوجها النبي ﷺ [أخرج البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر حين تأيمت حفصة من خنيس بن حذافة وكان شهد بدرًا، وتوفي بالمدينة لقي عثمان فقال: إن شئت أنكحتك حفصة. قال: سأنظر في

أمري فلبث ليالي فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج، قال عمر: فقلت لأبي بكر: إن شئت أنكحتك حفصة، فصمت، فكنت عليه أوجد مني على عثمان فلبث ليالي ثم خطبها النبي ﷺ فأنكحتها إياه][1].

٥- السيدة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها :

تزوجها عليه السلام بعد حفصة رضي الله عنها وهي أرملة البطل المقدام شهيد الإسلام عبيدة بن الحارث الذي استشهد في أول المبارزة في غزوة بدر، وكانت قد بلغت الستين من عمرها، ولم تعمر عند النبي ﷺ إلا عامين ثم توفاها الله إليه راضية مرضية.

٦- السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها :

تزوجها عليه السلام وهي ثيب، وهي ابنة عمته، وكان قد تزوجها زيد بن حارثة ثم طلقها، فتزوجها النبي ﷺ لحكمة جليلة؛ وهي إبطال بدعة التبني وكانت متزوجة

(١) رواه البخاري (٥١٢٢).

بزيد مع الفارق الكبير في الحالة الاجتماعية فزينب شريفة وهو كان بالأمس عبدًا فكانت تعيش معه وهي كارهة (لأنها كانت تعطيه الجسد فقط بدون قلبها) حتى أنزل الله ﷻ في كتابه إبطال التبني وتزوجها النبي ﷺ بأوامر من الله ﷻ وأبطل ما كان عليه أهل الجاهلية.

٧- السيدة هند أم سلمة المخزومية رضي الله عنها:

تزوجها الرسول الكريم وهى أرملة (عبد الله بن عبد الأسد)، وكان من السابقين إلى الإسلام، وهاجر إلى الحبشة وكانت زوجته معه خرجت فرارًا بدينها. وبعد وفاة زوجها كانت لها أولادًا أيتامًا فتزوجها النبي ﷺ ليراعى هؤلاء الصغار، ولما خطبها لنفسه اعتذرت وقالت: إني مسنة، وإني أم أيتام، وإني شديدة الغيرة. فأجابها النبي ﷺ: أما الأيتام فأضمهم إلي، وأدعو الله أن يذهب عن قلبك الغيرة، ولم يعبأ بالسن فتزوجها وقام على تربية أولادها، وكانت سديدة الرأي واتضح ذلك في صلح الحديبية؛ لما أشارت عليه بأن يخرج إلى أصحابه،

ويحلق رأسه أمامهم، وجزمت بأنهم لا يترددون حينذاك عن الإقتداء به لأنه أصبح أمرًا مبرمًا وفعل النبي وفعلوا كما فعل وذلك بإشارة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها وأرضاها.

٨- السيدة أم حبيبة رمله بنت أبي سفيان رضي الله عنهما :

وفي سنة سبع من الهجرة تزوجها الرسول الكريم ﷺ وكانت أرملة -عبيد الله بن جحش- مات زوجها بالحبشة فزوجها النجاشي للنبي ﷺ وأمهرها أربعة آلاف درهم وبعث بها إليه مع شرحبيل بن حسنة.

(٩/١٠) السيدة جويرية بنت الحارث، والسيدة صفية بنت حيي رضي الله عنهما :

تزوج الرسول ﷺ بالسيدة جويرية بنت الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق، وهي أرملة -لمسافع بن صفوان- الذي قتل يوم المريسيع وتركها في الأسر.

- وقال في موضع آخر من الكتاب: فأرادت أن تفتدي نفسها فجاءت للنبي ﷺ تستعينه بشيء من المال فعرض عليها أن يدفع عنها الفداء وأن يتزوجها فقبلت وتزوجها،

فقال المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ تحت أيدينا فأعتقوهم جميعًا فدخلوا في الإسلام وكانت جويرية أيمن امرأة على قومها، وقال عن صفية في نفس الموضع بعد أسرها في غزوة خيبر وبعد مقتل زوجها وقعت في سهم بعض المسلمين، فقال أصحاب الرأي والمشورة: هذه سيدة بني قريظة لا تصلح إلا لرسول الله ﷺ، فعرضوا عليه الأمر فدعاها وخيرها بين أمرين: إما أن يعتقها ويتزوجها فتكون له زوجة، وإما أن يطلق سراحها فتلحق بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون له زوجة، وذلك لما رأت عظمته وحسن معاملته وأسلمت وأسلم بإسلامها عدد من الناس.

١١- السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها:

كان اسمها -برة- فسماها النبي ميمونة وهى آخر أزواجه -صلوات الله عليه- وهي أرملة -أبي رهم بن عبد العزي- وقد ورد أن العباس هو الذي رغبه فيها(١).

(١) «روائع البيان» بشيء من الاختصار.

هذا الترتيب السابق هو الذي ورد في كتاب «روائع البيان» للشيخ الصابوني، قلت: الترتيب الزمني الصحيح كالآتي: خديجة بنت خويلد، سودة بنت زمعة، عائشة بنت أبي بكر، حفصة بنت عمر، زينب بنت خزيمة -أم سلمة- هند بنت أبي أمية المخزومية، جويرية بنت الحارث، زينب بنت جحش -أم حبيبة- رملة بنت أبي سفيان، صفية بنت حيي، ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنهن جميعًا- وكلهن عُمِّرن بعد وفاة النبي ﷺ إلا -خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة- مُتْن في حياته ﷺ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها -عدوها قليلة- فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلى الليل أبدًا، وقال أخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج

أبدًا، فجاء إليهم رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[(١)].





(١) رواه البخاري (٥٠٦٣) واللفظ له، ومسلم (١٤٠١).



الطلاق

ثم طلق النبي ﷺ حفصة بنت عمر رضي الله عنهما، قال الحافظ في «الفتح» وأخرج ابن سعد والدارمي والحاكم أن النبي ﷺ طلق حفصة ثم راجعها ولابن سعد مثله من حديث ابن عباس عن عمر وإسناده حسن، ومن طريق قيس بن زيد مثله، وزاد: فقال النبي ﷺ: «**إن جبريل أتاني فقال لي: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وهي زوجتك في الجنة**»، وقيس مختلف في صحبته، ونحوه عنده من مرسل محمد بن سيرين.(١)

- وطلق النبي ﷺ ابنة الجون، روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن ابنة الجون لما أدخلت على رسول الله ﷺ ودنا منها قالت: أعوذ بالله منك. فقال لها: «**لقد عذت بعظيم الحقي بأهلك**»(٢).

---

(١) «الفتح» (٩/٢٣٤).

(٢) رواه البخاري (٥٢٥٤).



الإيلاء

ثم آلى رسول الله ﷺ من نسائه، روى البخاري عن أنس بن مالك قال: آلى رسول الله ﷺ من نسائه، وكانت انفكت رجله فأقام في مشربة له تسعًا وعشرين ثم نزل، فقالوا: يا رسول الله آليت شهرًا، فقال: «**الشهر تسع وعشرون**»(١).

فائدة:

قال العلماء لم يظاهر النبي ﷺ من نسائه لأن الظهار منكرًا من القول وزورًا، ولم يكن ليفعله النبي ﷺ.

والنكاح والطلاق والإيلاء من فعل البشر، والله عز وجل منزه عن ذلك، قال تعالى ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ - يعنى زوجة- [الأنعام: ١٠١].



(١) رواه البخاري (٥٢٨٩).

٦- ضيق صدره وحزنه ﷺ

- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر].

- قال تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النمل: ٧٠].

في هذه الآيات تسلية للنبي ﷺ فإن قريشًا كانوا يتعمدون فعل الأشياء التي يضيق منها صدر النبي ﷺ، ولكن الله عز وجل كان يفرج هذا الضيق والكرب بنزول الآيات التي تتحدث عن الأنبياء والمرسلين السابقين وما حدث لهم مع أقوامهم وصبرهم على هذا الإيذاء، وكان ﷺ يصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل من قبله كما قال الله عز وجل، وإذا كنت أنت يا محمد أفضلهم وسيدهم فلا تتضجر مما

يقولونه عنك (قالوا: ساحر، وقالوا: كاهن، وقالوا: شاعر) إلى غير ذلك من أقوال الاستهزاء به ﷺ، ثم يخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رسوله ﷺ بأنه إذا حدث له ذلك فليسرع إلى التسبيح والذكر والاستغفار لأن هذا من أسباب شرح الصدر، ولذلك كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وكان يقول لبلال: «**أرحنا بها يا بلال**» قال: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**» وهذا ما أشار إليه الله عَزَّ وَجَلَّ في الآيات السابقة في سورة الحجر لأن السجود بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ سبب من أسباب تفريج الكروب، ولذلك كان ﷺ يقوم من الليل حتى تتورم قدماه.

- وأيضًا أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وهنا تظهر الحكمة من سجود النبي ﷺ بين يدي ربه يوم القيامة في حديث الشفاعة: «يفتح الله عَزَّ وَجَلَّ عليه بمحامد في دعائه ثم يقول له ربه: يا محمد! ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع» والصلاة كلها ذكر لله عَزَّ وَجَلَّ.

- كما قال سبحانه لموسى عليه السلام: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١٤].

- وعرج به ﷺ إلى السموات العلى بعدما ضاق صدره مما حدث له بعد ذهابه إلى الطائف تسليةً له وتخفيفًا عما لاقاه من قومه، وما حدث من عقبة بن أبي معيط من وضع سلا الجزور على ظهره وهو ساجد، وما حدث من عمه أبي لهب وزوجته العوراء أم جميل في الصد عن هذا الدين، كل هذا كان يضيق منه صدر النبي ﷺ ولذلك توعدهما الله عز وجل وأخبر بأنهما من أهل النار.

- وكان يضيق صدره ﷺ مما يلاقيه أصحابه المستضعفين من الأذى ويأمرهم بالصبر ويعدهم بالجنة.

- والله عز وجل جاء بصيغة المضارع في الآية ليدل أن علمه سبحانه وتعالى بما يحدث له من الاستهزاء والسخرية دائم لا ينقطع.

- وأما الحزن فالله عز وجل نهاه عن ذلك بقوله: ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [النمل: ٧٠]، لأن النبي فعل ما بوسعه معهم

ولم يألو جهدًا في إظهار هذا الدين ولكنهم عاندوا وأشركوا بالله عز وجل في عبادته.

- وفى السنة مواقف تظهر أن النبي بشر وكان يحزن إذا أصابه مكروه أو فقد ولد، روى البخاري قول النبي صلى الله عليه وسلم حين مات ولده إبراهيم عليه السلام: «**إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[(١)].

- وأيضا لـمَّا نعىٰ الثلاثة الذين جعلهم أمراء على الجيش في مؤتة وهم (زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة) كان يبكي وعيناه لتذرفان بالدموع وهو ينعاهم لأهل المدينة قبل عودة الجيش[(٢)].

ما سبق دليل على أن الرسول بشر يلحق به ما يلحق البشر من (الضيق والهم والغم والحزن وغير ذلك)

---

(١) رواه البخاري (١٣٠٣).

(٢) رواه البخاري (١٢٤٦).

ولذلك كان ﷺ يستعيذ من الهم والحزن ومن العجز والكسل...... الحديث[(١)].

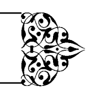
- وكان يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم**»[(٢)].



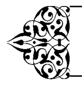


(١) رواه البخاري (٦٣٧٠).

(٢) رواه البخاري (٦٢٤٦).



٧- مرضه ﷺ



عن عبد الله بن عباس قال: كشف رسول الله ﷺ الستر ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه[١].

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبه قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها: ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ قالت: بلي، ثقل النبي ﷺ فقال: «**أصلىٰ الناس؟**»، قلنا: لا. وهم ينتظرونك يا رسول الله، قال: «ضعوا لي ماءً في المخضب» ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء (يقوم وينهض) فأغمي عليه ثم أفاق..... الحديث[٢].

- قال النووي معلقًا على هذا الحديث: «فيه دليل على جواز الإغماء على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ولا شك في جوازه فإنه مرض، والمرض يجوز عليهم بخلاف الجنون فإنه لا يجوز عليهم لأنه نقص، والحكمة

(١) رواه مسلم (٤٧٩).

(٢) رواه مسلم (٤١٨).

في جواز ذلك المرض عليهم ومصائب الدنيا تكثير أجرهم وتسلية الناس بهم ولئلا يفتتن الناس بهم ويعبدونهم لما يظهر عليهم من المعجزات والآيات البينات»[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، قالت: فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا[(٢)].

قال الزهري: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عائشة أخبرته قالت: أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة فاستأذن أزواجه أن يمرَّض في بيتها وأذن له، قالت: فخرج ويدٌ له على الفضل بن عباس ويد له على رجل آخر وهو يخط برجليه في الأرض، فقال عبيد الله: فحدثت به ابن عباس فقال -أي ابن عباس-: أتدري من الرجل الذي لم تسم عائشة هو علي[(٣)].

(١) رواه مسلم بشرح النووي (٤/ ١٣٦).
(٢) رواه مسلم (٥٢٩).
(٣) رواه البخاري (١٩٨)، ومسلم (٤١٨).

وعن الزهري سمعت أنس بن مالك يقول: سقط النبي ﷺ عن فرس فجُحِشَ (خدش) شقه الأيمن فدخلنا عليه نعوده فحضرت الصلاة فصلى بنا قعودًا فصلينا وراءه قعودًا[(١)].

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها[(٢)].

والأحاديث في مرضه كثيرة: قال النووي: (اعلم أن النبي ﷺ معصوم من الكذب، ومن تغيير شيء من الأحكام الشرعية في حال صحته وحال مرضه، ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه، وليس معصومًا من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام ونحوها مما لا نقص فيه لمنزلته ولا فساد لما عهد من شريعته.

---

(١) رواه البخاري (٣٧٨)، ومسلم (٤١١).

(٢) رواه مسلم (٢١٩٢).

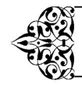


- وقد سُحر النبي ﷺ حتى صار يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله، ولم يصدر منه (في هذا الحال كلام في الأحكام مخالف لما سبق من الأحكام التي قررها.......) إلى أن قال: (ومعلوم أنه ﷺ وإن كان قد رفع الله درجته فوق الخلق كلهم فلم ينزهه عن سمات الحدث والعوارض البشرية)[1].

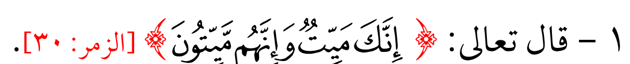
هذا هو حال النبي ﷺ يمرض كما يمرض البشر ويعتريه ما يعتري البشر.



(١) صحيح مسلم، بشرح النووي (١١/ ٩٠).



٨- موته ﷺ



١ - قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠].

٢ - وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء].

٣ - وقال عز وجل: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن].

٤ - وقال عز وجل: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨].

٥ - وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢].

هذه الآيات القرآنية تبين أن النبي ﷺ وغيره من البشر سيذوقون هذا الموت، ولذلك نزلت سوره النصر

تنعي النبي ﷺ في حياته كما قال ابن عباس كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدني ابن عباس فقال له عبد الرحمن بن عوف: إن لنا أبناء مثله، فقال: إنه من حيث تعلم، فسأل عمر ابن عباس عن هذه الآية ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فقال: أجلُ رسول الله ﷺ أعلمه إياه، فقال: ما أعلمه إياه إلا ما تعلم[1]، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ فيها نعي للنبي ﷺ لأنها نزلت في حياته.

- وفي سورة الملك أخبر الله عز وجل أنه خلق الموت كما خلق الحياة، ومن المعلوم أن كل مخلوق سيفنى وليس غير الله يبقى، ودل هذا على أن الموت أيضًا سيموت، وهذا ما أخبر به النبي ﷺ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فيناد مناديًا يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل**

(١) رواه البخاري (٤٤٣٠).

تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت. وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾»[1].

- وفي العام العاشر من الهجرة توجه النبي ﷺ إلى مكة لكي يحج ومعه مائة ألف من الصحابة بل يزيدون وأوصاهم بوصايا مهمة، وأرسى لهم القواعد التي يسيرون عليها في خطبته التي ألقاها أمام هذا الجمع الغفير من المسلمين، ثم قال لهم: «**لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**» -وكأنه يودعهم- ولذلك سميت بحجة الوداع، وبعد عودته إلى المدينة مكث بها المحرم وصفر، وتوفي في ربيع الأول في بداية العام الحادي عشر من الهجرة.

(١) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).



- فعن عائشة رضي الله عنها كما جاء في صحيح البخاري أنها كانت تقول: إن من نعم الله علي أن الرسول ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي وبين سحري ونحري، وإن الله جمع بين ريقي و ريقه عند موته، ودخل عليَّ عبد الرحمن وبيده سواك وأنا مسندةٌ رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك، فأشار برأسه أن نعم، فليَّنتُهُ فَأَمَرَّهُ وبين يديه ركوة أو علبة -ويشك عمر من رواة الحديث- فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، يقول: «**لا إله إلا الله، إن للموت سكرات**» ثم نصب يده فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**» حتى قبض ومالت يده[1].

- في هذا الحديث أن النبي ﷺ قبض في حجرة عائشة رضي الله عنها ورأسه بين سحرها ونحرها، ودفن في المكان الذي قبض فيه، قالت عائشة: شَخَصَ بصر النبي ﷺ، ثم قال: «**في**

---

(١) رواه البخاري (٤٤٤٩).

الرفيق الأعلى» ثلاثًا[(١)].

وروى الترمذي عن أبي بكر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما قبض الله نبيًا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه**»[(٢)].

وروى الترمذي في الشمائل والنسائي في الكبرى أنه قيل لأبي بكر: فأين ندفن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: في المكان الذي قبض فيه روحه، فإنه لم تقبض روحه إلا في مكان طيب (قال ابن حجر: وإسناده صحيح)[(٣)].

- قال المناوي: ولهذا سأل موسى ربه عند قبض روحه أن يدنيه من الأرض المقدسة لأنه لا يمكن نقله إليها بعد موته بخلاف غير الأنبياء فإنهم ينقلون من بيوتهم التي ماتوا فيها إلى مدافنهم ومقابرهم فالأفضل في حق من عدا الأنبياء الدفن في المقبرة.

(١) رواه البخاري (٤٤٥١).

(٢) رواه الترمذي (١٠١٨).

(٣) «فيض القدير» (٥/ ٤٦٠).





- قال ابن العربي: وهذا الحديث يرد قول الإسرائيلية أن يوسف نقل إلا أن يكون ذلك مستثنى إن صح[(١)].

- وقد ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» أن القاضي عياض استثني البقعة التي دفن فيها النبي ﷺ، وأنها أفضل البقاع وقال غيره: سبب تفضيل البقعة التي ضمت أعضاؤه الشريفة أنه روي أن المرء يدفن في البقعة التي أخذ منها ترابه عندما يخلق[(٢)] [(٣)].

- وبعد موت النبي ﷺ كان الصحابة في ذهول من وقع هذا الخبر على أسماعهم، روي البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح (وقال إسماعيل: تعني بالعالية) فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر: ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثن الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم،

(١) «فيض القدير» (٥/ ٤٦٥).
(٢) رواه ابن عبد البر في أواخر تمهيده ومن طريق عطاء الخراساني موقوفًا.
(٣) «الفتح» (٣/ ٥٢).

فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله فقال: بأبي أنت وأمي طبت حيًا وميتًا، والله الذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدًا ثم خرج، فقال: أيها الحالف على رسلك -يقصد عمر- فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

- قال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠].

- وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] قال: فنشج الناس يبكون، الحديث[(١)].

مات النبي ﷺ بعدما استكمل رزقه وأجله ودفن ليلة الأربعاء، وكما جاء في «سيرة ابن هشام» بعدما انتهي

(١) رواه البخاري (٣٦٦٨).

المسلمون من إقامة خليفة عليهم فغسِّل وكفِّن وصلي عليه أرسالًا بدون إمام في حجرة عائشة رضي الله عنها وأنزله القبر عليٌّ والعباس وولداه الفضل وقثم، ورش بلال قبره بالماء ورفع قبره عن الأرض قيد شبر.

- روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه، فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أباه، فقال: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**» فلما مات قالت: يا أبتاه! أجاب ربًا دعاه، يا أبتاه في جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دفن قالت فاطمة: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب(١).

اصبر لكل مصيبة وتجلد
واعلم بأن المرء غير مخلد
فإذا أردت مصيبة تسلو بها
فاذكر مصابك بالنبي محمد

(١) رواه البخاري (٤٤٦٢).

أضف إلى ما سبق حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري:

١ - لما خطب النبي ﷺ وقال: «**إن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله**» (فبكى أبو بكر)[1] الحديث.

- وحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست سنين وبني بها وهي بنت تسع سنين ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة[2].

- وفي الصحيحين قالت: توفي وهو ابن ثلاث وستين[3].

- مات النبي ﷺ بعدما أكمل الله عز وجل له هذا الدين، وأتم عليه النعمة، وتركنا على الواضحة لا يزيغ عنها إلا هالك، فالنجاة النجاة في إتباع سنته ﷺ.

(١) رواه البخاري (٣٦٥٤).

(٢) رواه مسلم (١٤٢٢).

(٣) رواه البخاري (٣٥٣٦)، ومسلم (٢٣٤٩).

ما سبق دليل على بشرية الرسول ﷺ لأنه مخلوق والمخلوق حادث، ونهايته إلى فناء.

صفات أخرى:

وهذه بعض الصفات التي تثبت أنه بشر على سبيل الإيجاز:

١- **الخوف:** وتتجلي هذه الصفة في حديث الغار لما كان يتعبد فيه وجاءه -الملك جبريل- وضمه إلى صدره وأرسله ثلاثًا وقال له: اقرأ، فلما عاد إلى خديجة ترجف بوادره وهو خائف. الحديث[(١)].

٢- **عمله بالتجارة وغيرها:** كان ﷺ يعمل بالتجارة في مال خديجة بل وكان يرعى الغنم، وقال: «**ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم**» فقال أصحابه: وأنت، قال: «**نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**»[(٢)].

٣- **الكرب والغم:** وظهر هذا لما سألت قريش النبي ﷺ

---

(١) رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٢) رواه البخاري (٢٢٦٢)، ومسلم (٢٠٥٠).

أن يصف لهم بيت المقدس بعد رحلة الإسراء فجلاه الله ﷻ له ووصفه لهم، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: لما كذبتني قريش قمت إلى الحجر فجلا الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه[(١)].

٤- السحر: عن عائشة رضي الله عنها قالت: (سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم اليهودي حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله)[(٢)].

٥- القرين: كان ﷺ له قرين من الجن، روى مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرين من الجن**» قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: «**وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (١٧٢).

(٢) رواه البخاري (٥٧٦٥)، ومسلم (٢١٨٩).

(٣) رواه مسلم (٢٨١٤).

٦ - **الحياء:** الحياء لغة تغير وانكسار وهو انقباض النفس عن القبائح، وهو مستحيل في حق الله عَزَّ وَجَلَّ، ولكن قد يشكل علينا بعض أحاديث فيها أن الله يستحي، ومنها حديث أبي واقد الليثي (أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينما هو جالس في المسجد، والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه**»[(١)].

قال الحافظ في قوله: «فاستحيا الله منه» أي: رحمه، ولم يعاقبه، ونبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أشد حياء من العذراء في خدرها[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).

(٢) رواه البخاري (٣٥٦٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

٧- **اكتساب الذنوب:** فإنها من فعل العبد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «**اللّٰهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللّٰهم لك أسلمت، وبك أمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت -أو لا إله غيرك-**»(١).

- قال الحافظ: فيه زيادة معرفة النبي ﷺ بعظمة ربه، وعظيم قدرته، ومواظبته على الذكر والدعاء والثناء على

(١) رواه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩).

ربه، والاعتراف له بحقوقه، والإقرار بصدق وعده ووعيده، وفيه استحباب تقديم الثناء على المسألة عند كل مطلوب اقتداءً به ﷺ.

- فدل هذا الحديث على عبودية النبي ﷺ لربه وأنه يكل كل الأمور إلى الله، وأنه معترف بأن العبد مكتسب للذنوب؛ لذلك طلب من الله عز وجل مغفرتها حتى ولو كان تعليمًا لأمته.

٨- **أميته:** وإنعام الله عز وجل عليه بالعلم الذي لم يكن يعلمه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

[النساء: ١١٣]

وقال تعالي: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨].

ولقد ذكر الله عز وجل في كتابه آيات تأمرنا نحن وغيرنا باتباع هذا النبي الأمي قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ

﴿ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقوله ﷺ: «**نحن أمه أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا -يعني مرة تسعة وعشرون ومرة ثلاثين-**»[1] فنسب النبي ﷺ نفسه إلى هذه الأمة الأمية.

٩- **الميل القلبي:** الذي كان يشعر به ﷺ تجاه عائشة دون أزواجه، ويقول: «**اللّٰهم هذا قسمي فيما أملك**» العدل بين نسائه في النفقة وغيرها «**فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك**»[2] يعني الميل القلبي.

١٠- **اللباس:** عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان

(١) رواه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠).

(٢) رواه الترمذي (١١٤٩)، وأبو داود (٢١٣٤)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٥٩٣).

رسول ﷺ مربوعًا، وقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئًا أحسن منه[(١)].

- (ولبس القميص، وأعطاه لعبد الله بن أُبيّ ليكفن فيه)[(٢)].

وعن عمرو بن حريث أن قال: كأني أنظر إلى رسول الله على المنبر، وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه[(٣)].



١ - ولبس جبة من صوف[(٤)].

٢ - ولبس المغفر عام الفتح على رأسه وهو داخل لمكة[(٥)].

٣ - وقال أنس: كان أحب الثياب إلى رسول الله الحبرة[(٦)].

٤ - ولبس خاتم من فضه ونقش فيه محمد رسول الله[(٧)].

---

(١) رواه البخاري (٥٨٤٨).

(٢) رواه البخاري (٥٧٩٦).

(٣) رواه مسلم (١٣٥٩).

(٤) رواه البخاري (٥٧٩٩).

(٥) رواه البخاري (٥٨٠٨)، ومسلم (١٣٥٧).

(٦) رواه مسلم (٢٠٧٩).

(٧) رواه البخاري (٥٨٧٢).



٥ - ولبس ﷺ النعل وصلى فيه[(١)].

- مما سبق يتبين لنا أن اللباس من صفات ذوي الأجسام، والله عز وجل منزه عن ذلك لأنه ليس بجسم، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

- أضف إلى ما سبق ما حدث له ﷺ يوم أحد (من كسر رباعيته، وشج رأسه، ونزول الدم منه ﷺ)[(٢)].

٦ - إلى غير ذلك من الحوادث التي حدثت له (كيوم الطائف).

٧ - ويوم وضع له السم في الطعام في خيبر[(٣)].

- ومن تتبع سنته وجد الكثير، ولكن هذا يكفي في إثبات بشريته ﷺ.

وأخيرًا فليعلم كل مسلم أن الرب رب وأن العبد عبد، وعند البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها لما

(١) رواه البخاري (٥٨٥٠).

(٢) رواه مسلم (١٧٩١).

(٣) رواه البخاري (٥٧٧٧).

سألها مسروق: يا أمتاه! هل رأي محمد رسول الله ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب، ثم ذكرت من الثلاثة: ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[1] [لقمان: ٣٤].

- وكأني بالنبي ﷺ ينادي عليهم قائلًا: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ من الآية [الأنعام: ٥٠].

- قال الألوسي في تفسيره: ولا أرى حسنًا قول القائل: إنه -عليه الصلاة والسلام- يعلم الغيب وأستحسن أن يقال بدله: إنه ﷺ أطلعه الله على الغيب أو علمه -سبحانه- إياه أو نحو ذلك.

وروي النسائي: عن أنس رضي الله عنه أن ناسًا قالوا: يا رسول الله! يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا،

(١) رواه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧).

فقال: «يا أيها الناس! قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل»[1].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء].



(١) «الصحيحة» (١٥٧٢).

الخاتمة

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] كلمة كان النبي ﷺ يقولها لأصحابه ولذلك لما حضر عرس الربيع بنت معوذ وكان هناك جواري يغنين ويضربن بالدف ويندبن من قتل يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال: «**دعي هذه وقولي الذي كنت تقولين**»، كما جاء في صحيح البخاري وغيره فلم يقرها النبي ﷺ على هذه الكلمة؛ لأن الذي يعلم ما في غد هو الله عز وجل وحده، كما جاء في آخر سورة لقمان، ولو أقرها النبي ﷺ على ذلك لكان متصفًا بصفة من صفات الرب عز وجل؛ لأن علم الغيب يدخل ضمن توحيد الربوبية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى

نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤].

٢ – وكان النبي ﷺ يتعامل مع أصحابه على أنهم بشر لهم قلوب يعقلون بها ولم يستخف بعقولهم يومًا كما يفعل الآن بعض المتصوفة فكان ﷺ إذا حدث له شيء أو حدث أصحابه عن أمر غيبي يخبرهم بأنه لم يعلمه ابتداءًا وإنما أخبره به جبريل، فعندما سئل عن أي الأجلين قضى موسى عليه السلام فأمهل السائل حتى يسأل جبريل، ثم أخبره جبريل بقوله: أكملها وأتمها، ويوم أن انفلتت دابته في غزوة تبوك تقوّل أحد المنافقين وقال: أليس محمد يزعم أنه نبي، ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته إلى أن قال النبي ﷺ: «**والله ما أعلم إلا ما علمني الله** – هذا هو الشاهد– **وقد دلني الله عليها وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا**»– كما جاء في سيرة ابن هشام، وكذلك لما أخبرته الشاة بأنها مسمومة لما وضعت المرأة

اليهودية في عام خيبر السم في الشاة وزادت في الذراع عن غيره لما سألت عن الجزء الذي يحبه النبي ﷺ وغير ذلك مما أخبر به النبي ﷺ عن أمور غيبية علمها عن طريق الوحي.

- فيجب علينا نحن المسلمين أن نوضح لكل مسلم هذه الحقيقة وليس في هذا منقصة لنبينا ﷺ، بل هذا هو هديه وخير الهدي هدي محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ من الآية [البقرة: ١٣٧].

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التـــشبه بالرجـــال فـــلاح

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب

وصلى اللهم على نبينا محمد..



الفهرس



